النزعة الرومانسية في العالم الافتراضي

أ.د محمد رضا مبارك
جامعة بغداد/ كلية الإعلام
mrmubarak@hotmail.com

أ.م.د بشرى جميل الراوي
جامعة بغداد/ كلية الإعلام
drbushrajameel@vomc.uobaghdad.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

حين انقضت الرومانسية منذ ظهورها في نهاية القرن الثامن عشر، بدا وكأن هذا التطور الفكري والفلسفي المهم، قد غاب لكنه لم يغب حقاً، فلقد ظلت الرومانسية في أَناشيد الشعراء وأفعال الفلاسفة والادباء حتى بعد أن أَفلت في الحياة الثقافية بشكلٍ عام. واذا كان من الصعب حصر كل مبادئ الرومانسية فأن الظاهر منها، والمتداول هو تأكيد الفردانية وحب التوحد مع الطبيعة وامكاناتها وموحياتها وكذلك تمجيد العاطفة، مقارنةً بالنزعة العقلية التي كان عليها كُتاب القرن السابع عشر، في منهجهم الكلاسيكي، غير أَن اللغة هي أهم ما قاله الرومانسيون وما أَثبتوه في أشعارهم وفي أعمالهم الفنية، ابتداءً من ودزروث ومروراً برموز الرومانسية الكبار.. فضلاً عن الفلاسفة المنظرين للرومانسية، حتى سميت فلسفة جان جاك روسو، بالفلسفة الرومانسية، وهي مفارقة توضح أبعاد هذه الظاهرة الكبيرة في الفكر العالمي.

ومع ظهور الإعلام الجديد.. وتطور تقنياته تطوراً مذهلاً ومتسارعاً، فأن الرومانسية تعود من جديد، ولكن برؤى مختلفة، يفرضها العصر ومنطقه.. فاذا كانت الرومانسية هي فلسفة التشخصن وحب الذات، والذوبان فيها فأن مواقع التواصل الاجتماعي، قد لامست هذا واقتربت منه كثيراً.. واذا كان الرومانسيون يقدسون الطبيعة اشجارها وجبالها وسهولها، فأنهم اليوم يقفون قبالة شاشات صغيرة لا تظهر فيها الطبيعة الا صامتةٌ، لا غاب يتوحدون فيه، ولا حفيف أَشجار وأَصوات، يتناغمون وإياها.. ومع ذلك فأن ملامح النزعة الرومانسية وُجدت في الإعلام الجديد. على وفق رؤية تقول: "إنَّ المناهج تجدد نفسها، وإن الأَفكار يمكن أَن تعود، لكن العود الرومانسي اليوم، له أَكثر من دلالة ومن معنى، وإن تقصيه في البحث الإعلامي، يمكن ان يكون سبباً في تجديد معارفنا ونقدها.

الكلمات المفتاحية: الرومانسية، العالم الافتراضي، الذات.

إشكالية الدراسة:

تعبر مواقع التواصل الاجتماعي عن اتجاه رومانسي يغزو المشهد الإعلامي العالمي وظهور نمط جديد من النهج الأدبي والفني والميداني للظواهر الاجتماعية. هذا النهج، الذي تم تأسيسه انطلاقاً من سهولة التعبير والحرية في طرح القضايا العامة، قد كسر حاجز صمت الإعلام الجماهيري المؤسسي وتعطل آليات الاستبعاد.

واعتبر بمثابة موجة جديدة من التفاعلات الاجتماعية في مجال الإنتاج الثقافي، وتعبير عن الوعي الذاتي. معلناً عن حقبة جديدة من الإعلام والتواصل، تشبه إلى حد كبير حقبة القرن الثامن عشر التي فجرّت الأدب والفنون الأوروبية. شكل جديد من التحليل الفني والأدبي والإعلامي للظواهر الاجتماعية القائمة على الحرية المطلقة في معالجة ومناقشة القضايا العامة والخاصة هو ما حطم دوامة الصمت في الإعلام المؤسسي وقضى على آليات التهميش.

وهو دليل الوعي الذاتي، ليكون مؤشراً واضحاً الى الاتجاه الرومانسي، يظهر أنه مشابه، من حيث الأهمية، لأولئك الذين خلقوا الرومانسية في ألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة وإيطاليا وإسبانيا، وجعلوا منها مدرسة للفنون والفكر، بمجالات مختلفة في شكل ينطوي على ثورة في الوسائل الفكرية والتعبيرية... ومع التركيز على الخصائص العامة لكل من الاتجاه الجديد في وسائل الإعلام والرومانسية يمكننا أن نرى أنها من الطبيعة نفسها.

الرومانسية الجديدة

من أَهم مواضعات الرومانسية هو تأكيد الذات، او تحقيق أَقصى ما يمكن من صفات تقوي الذات وتدافع عنها. وفي الإعلام التفاعلي كما في الأدب التفاعلي، اظهار للشخصية والدوران حولها... إذ إن أهم صفات الكاتب في كل الحقول التي يكتب بها، أنه يصدر عن ذاته.. في الكتابات التقليدية كان هناك كاتب ومتلقٍ.. والنص يصدر من مصدر "ذات" نحو متلقٍ فردي او جماعي.. لكن هذا المتلقي السابق في تقليديات الكتابة قد تحول الى كاتب، في صحافة المواطن، والى شاعر في القصيدة التفاعلية.. لان القصيدة التي يكتبها شاعر ما في الموقع الالكتروني، سيضيف إليها القراء من شتى بقاع العالم، مقاطع وأخيلة.. وبما أَن الشعر ذات او يصدر عن ذات، فأن القصيدة التفاعلية هي جماع ذوات متعددة.. لكل من هذه الذوات شخصية خاصة به.. اذ لا يمكن الأبداع والكتابة لشعرية خاصةً إلا في اطار تشخصن وذاتية مطلقة. قريباً من هذا الإعلام التفاعلي.. فالكاتب الصحفي

وكاتب الخبر لابد أَن يترك ميزة خاصة، تميزه عن الآخرين سواء في الصياغة، او اللغة عامةً. او اختيار زاوية التناول، أو اسلوب التوكيد، أو القدرة على تصوير الحدث بوساطة الكلمات.

منحت مواقع التواصل الاجتماعي المساهمين قدراً كبيراً من تأكيد الذات والتمسك بها.. فالكتابة في أي حقلٍ، هي تجارب شخصية وإن كانت في اطارها العام ليست كذلك.

ان تبدل دور المتلقي في العملية الاتصالية، وتبدل دور الكاتب، قد لاقى الرومانسية في أَهم مبادئها: فكان "جان بول ريختر" ١٧٦٣-١٨٢٥م في طليعة كبار الرومانتيكيين. إذ يقول: "ذات صباح في حداثتي كنت واقفاً على عتبة المنزل، انظر عن شمالي الى اكداس الحطب عندما هبطت علي من السماء كالصاعقة هذه الفكرة: أنا ذات، وهذه الفكرة لم تتركني منذ ذلك الحين، فقد رأت ذاتي نفسها اول مرّة وما برحت تراها" (هلال، ١٩٧٣، ص١٠٥).

لكن ما يبدو من تناقض بين التفاعلية والذاتية.. ليس تناقضاً، لان التفاعل في اطار الذات، اي ان المتفاعلين هم ذوات خاصة ومتميزة، ولكل منهم رأيه ومساحته التي يتحرك بها. والتفاعلية لا تعني الانسجام او توافق الآراء، بل قد تكون على الضد من ذلك تماماً. التفاعل من صيغة الفعل "تفاعل" اي "تشارك"، وهي من صيغ المطاوعة كما يقال في اللغة. ولكن معناها اكتسب دلالات جديدة في مواقع التواصل الاجتماعي، فالمشاركة مع الاحتفاظ بالذات، او بالرأي الخاص. وفي الإعلام التقليدي لا وجود للتأكيد على الذات من المرسل والمرسل إليه، هناك قناة واحدة وهناك إصغاء، وقد يكون امتثالاً واحداً والأمر هنا، انتقال من الاصغاء الجماعي أو الجمعي الى الاصغاء الفردي، الذي يكون في أحد معانيه، إصغاء بدوافع الذات.. وهو يدور في فلكها، وهذا النوع من الاصغاء مختلف تماماً عن الاصغاء الجماهيري.

لقد ثارت الرومانسية على الواقع السائد الذي كان يتصف بسيطرة الارستقراطية على مناحي الفن والجمال والحياة بعامة.. فالرومانسية تمرَّد ربما على كل ما في الحياة السائدة من مواضعات. وكذلك الثورة على تحديدات الكلاسيكيين للفن.. "وقد نهج الرومانتيكيون نهجاً مخالفاً لأسلافهم، فمجدوا شأن العاطفة، وجعلوا حقوق القلب تطغى على قوانين المجتمع ونظمه.. ولم يتحفظوا في مهاجمة ما استقر في المجتمع من عقائد سياسية أو دينية" (هلال، ١٩٧٣، ص٢٦).

وعلى هذا النحو، يكون التمرد الرومانسي، الذي صنع بيئة قابلة للتحول، واذ رفض الرومانسيون كل ما يتعلق بالحياة الارستقراطية التي كانت سائدة، فقد قلبوا حياة الناس، وادخلوا افكارهم في صلب الواقع الاجتماعي، وكانت علاقتهم وثقى بالتغيير الكبير في فرنسا أبان الثورة الفرنسية.

والإعلام التفاعلي، او الإعلام في مواقع التواصل الاجتماعي، هو ثورة اخرى تشبه في احد فصولها الثورة في الوسائط، ومن غير المعقول ان تكون هناك ثورة في الوسائط، من دون أن يرافقها ثورة في المادة الإعلامية نفسها.

ولعل الرومانسيين قبل مائتي عام، قد هيأوا فرصة هائلة للتمرد، ولا يعني هذا ان كل مستعملي الإعلام التقني هم متمردون... لكنه يعني فقط أن أساساً ما للتمرد قد وجد، تماماً كما فعل اولئك، في احد عصور اوربا وتحولاتها المهمة "تقوم الرومانطقية بخلاف الكلاسيكية، على الايمان الشديد، بقدسية العاطفة وعلى ضرورة التحليق في عالم الخيال والاحلام هرباً من عالم الواقع. ومن هنا جاء تمجيد الرومانطيقيين للموسيقى لما فيها من طاقات كبيرة تحرك العاطفة، وتوحي بالفجوة الهائلة بين عالمي الخيال والواقع، وتؤكد عدم التئامهما. ولعل سبب الهرب من الواقع عجز الرومانطيقي عن خوض معترك الحياة الشائك المحيط به" (حمدان، ١٩٨١، ص١٨)

ثورة الإعلام التفاعلي، او إعلام الوسائط المتعددة، يمكن مقاربتها بالآتي:

١- إن الحرية فيه غير محدودة ومفتوحة في كل اتجاه.

٢- تسمح هذه الحرية بتخطي الثوابت الاجتماعية والدينية.

٣- يستعمل هذا الإعلام في الغالب لغة الحديث اليومي، كما فعل الرومانسيون حين استبدلوا اللغة الفخمة الجزلة، باللغة المعتادة.

٤- الترميز والاخفاء، ميزتان مهمتان في الإعلام الجديد... اذ غالباً ما يتخفى المشتركون، بإسماء رمزية او حروف او حتى تشكيل ايقوني.

والاخفاء والترميز، نوع من تحقيق الذات. لكن هذه الذات، تظهر عن طريق الكلمات او الصور، اي الذات المتشظية في اللغة، او في الصورة. او في العلاقة السيميائية، لان الفكرة التي لا يستطيع صاحبها ان يبوح باسمه، تصبح هي والذات شيئاً واحداً. فالذات تتوحد مع الفكرة او مع الاشارة التي اريد إيصالها. فالمشاهدة والقراءة في مواقع التواصل الاجتماعي مثلاً في الغالب قراءة اخفاء وترميز. معظم الصور والتعليقات لا يُعرف من أرسلها، ولكن يعرف القصد منها، وهنا يتحقق الانسجام بين الفكرة والذات.

كما ان توحد الرومانسيين وحبهم للاماكن البعيدة الخالية، أو الغابات والجزر، هو من اجل الاتحاد بالطبيعة ومناجاتها... العزلة والوحدة، هي من السلوك المعتاد لكثير من الرومانسيين، وقد حقق الإعلام الجديد، نوعاً ما من العزلة، حتى داخل البيت الواحد، حين ينظر كلٌ في شاشته، بعيداً عن الآخر، وان كان قريباً منه. العزلة سمة الفرد المعاصر، فرد الشاشات المتعددة الاغراض والمنفتحة على كل ما في الوجود، لكنها من الناحية الثانية هي المغلقة انغلاقاً تاماً، لانها في الاخير محدودة بعالم المستطيل الزجاجي الذي يواجه العين، ويعكس صوراً افتراضية او حقيقية للعالم.

وكان ويلهم شليجل W.Schegel .A أول من بدأ بمعارضة الرومانتيكية بالكلاسيكية على أنها اتجاه جديد في الأدب. وتأثرت به مدام ستال، فدعت إلى الرومانتيكية في فرنسا بأنها الشعر الذي يحيا فيه الماضي الوطني، وعارضتها بالمذهب الكلاسيكي في مبادئها الفنية والعاطفية (هلال، ١٩٧٣، ص٤). "وكانت تدل على الإنسان الحالم ذي المزاج الشعري، المنطوي على نفسه. ثم امتد معناها ليشمل العاطفة، والاستسلام للمشاعر، والفردية، والذاتية. وكان كثير من الفرنسيين يدعون إلى أدبهم الجديد "يقابله الآن بالتسمية الإعلام الجديد"، ولا يميلون إلى تسميته باسم الرومانتيكية. فكانت مدام Mme Necker تقترح أن يسمى "الأدب الاجتماعي" (هلال، ١٩٧٣، ص٤). يقابله الآن الإعلام الاجتماعي، الاتصال الاجتماعي، مواقع التواصل الاجتماعي.

واختلفت الرومانسية كذلك باختلاف الأشخاص، حتى قيل: إن "هناك أنواعاً من الرومانتكية بعدد الرومانتيكيين". وينطبق الواقع نفسه فكل فرد بالمجتمع لديه إعلام خاص به.

بين الإعلام والاتصال والرومانسية:

يعرف الإعلام بإنه نقل وقائع الحياة والصورة المثالية لما يجب ان يكون عليه الواقع، وفي سياق الدور الكبير الذي بدأت تقوم به تقانة المعلومات في رَسْمِ معالم مجتمع الألفية الثالثة، الأمر الذي جعل من الصعوبة فكَّ الارتباط بين الثقافة والتقانة، وتجاوز العلاقات الاجتماعية الهرمية. فالمجتمع في علاقته مع وسائل الاتصال الجديدة لا يتم تشكيله وبناؤه وفق التأثيرات الوافدة عليه عبر هذه الوسائل فحسب، بل يتجانس معها كلياً.

أما ما يتعلق بالإعلام التقليدي، "لا وجود لشيء اسمه التمثيل المحايد للواقع، ذلك أن الاحداث والعمليات، والأشياء، والناس تقدم لنا دائماً عبر وسيط. ولا يتعلق

الأمر بالموضوعية من ناحية، والانحياز من ناحية أخرى فحسب. اذ يلاحظ تذمر مستمر من التحيز والتزييف اللذين تمارسهما الصحافة والتلفزيون في معالجة الأخبار، وهو تظلم لهُ ما يسوغه" (فولر، ١٩٩٧، ص٧٦).

"فترتكز الأيديولوجية التقنية على منح تقنيات الاتصال سلطة معيارية تجعلها العامل الأول في تنظيم المجتمع وإعطائه معناه، والتسليم بخضوع التقدُّم في التواصل الاجتماعي لتقدم التقنيات، ومن ثم الاعتراف لتلك التقنيات بالقدرة على تغيير المجتمع. اذ أكد لويس مورغن أن كل مرحلة من مراحل تاريخ المجتمع الإنساني مرتبطة بإختراع مادي جديد. كما أكد كارل ماركس، أن عناصر التكنولوجيا هي التي تشكل اقتصاد المجتمع، وتتحكم بقوى التغيير الاجتماعي" (رحومة، ٢٠٠٥، ص٩٥).

وبشأن الحتمية الاجتماعية ونقد التقنية: "ينظّر لزلي وايت لعلم الثقافة، وجدلية الثقافة اللامادية "المجتمع" مع المادية التقنية. وأن المجتمع يبنى ثقافياً بواسطة المادية التقنية جدلياً. إذا هي الحتمية التقنية – الاجتماعية "الثقافية" كما يحدد هذا المنظور بصورة نقدية، هربرت ماركيوز بنظرية "الإنسان ذو البعد الواحد": الفكر، السلوك، الاختيار. فالتكنولوجيا تنتج منطق الهيمنة بفعل التوجيه الإنساني. والحل هو دمقرطة التقنية "الحتمية الاجتماعية" (رحومة، ٢٠٠٥، ص٩٥).

فالمرحلة الراهنة تشهد تعاوناً وتشابكاً ودعما متبادلا بين الإعلام التقليدي ومواقع التواصل الاجتماعي. فمستخدمو موقع مثل "يوتيوب" يستعينون كثيرا بمشاهد فيديو من برامج حوارية، وأحياناً أخرى يقومون بمعالجة هذه المشاهد لإضفاء مسحة من السخرية أو النقد على شخصيات سياسية معينة، وفي المقابل فإن كثيراً من الفضائيات باتت تستخدم لقطات منشورة على الموقع ذاته كمادة إخبارية مصورة. كما أن المحتوى الإخباري للإعلام التقليدي يعتمد أحياناً على معلومات مستقاة من وسائل التواصل الاجتماعي، مثل "تويتر وفيسبوك".

"إنّ حدوث التغيير لم تؤمّنه قنوات إعلاميّة واتصاليّة مؤسّسيّة، إنّما تحقّق، تلقائيّا، ضمن حلقات التواصل الاجتماعي كشكل من أشكال إنتاج المعنى وتبادله، ولعلّ هذا ما يجعل الإعلام الجديد جزءً من التفاعلات الاجتماعيّة، خلافا للاتصال الجماهيري التقليدي، يقدر عليها كلّ من تسنى له اكتساب حدّ أدنى من الثقافة الرّقميّة في هندسة التشكيلات الاجتماعيّة" (الحيدري، ٢٠١٣، ص٣٣).

١. لقد كانت الرومانسية ثورة ضد الكلاسيكية، وهذا ما نراه واضحاً من أفكارها ومبادئها وأساليبها التي قد لا تكون واحدة عند جميع الرومانسيين، ويمكن إجمال هذه الأفكار والمبادئ في ضوء استخدامات مواقع التواصل الاجتماعي فيما يلي: (الفيفي،٢٠١٣، اطلالة على الرومانسية. تم الاسترداد من

http://www.faifaonline.net/faifa/articles-action-show-id-2359.htm).

١- الذاتية أو الفردية: وتعد من أهم مبادئ الرومانسية، وتتضمن الذاتية عواطف الحزن والكآبة والأمل. فضلاً عن التحرر من قيود العقل والواقعية والتحليق في رحاب الخيال والصور والأحلام.

ويتجسد هذا الاسلوب في استخدامات مواقع التواصل الاجتماعي، فمثلاً يتحدث المستخدم في السردية الرقمية "شات Chat" عن فلسفة الموت والحياة التي ما يزال العلماء يبحثون فيها. ويفسرها هو بمنطقه السهل، ويرى أنّ الأحلام هي الحقيقة الوحيدة التي يجب استغلالها بكل طرق المتعة قبل نهاية الحياة. وأن تكون لحظة النهاية هي نفسها التي يصل فيها إلى أقصى حدود الرضا عن الذات "أريد في تلك اللحظة الخابية بالذات أن أعرف أنني قد عشت الحياة طولاً وعرضاً، وأنه لم يفتني شيء من متعها الرائعة" (سناجلة، د. ت).

٢- التركيز على التلقائية والعفوية في التعبير الأدبي، لذلك لا تهتم الرمانسية بالأسلوب المتأنق، والألفاظ اللغوية القوية الجزلة.

وتزيل مواقع التواصل الاجتماعي القيود المفروضة فى العالم الحقيقي، المتمثلة فى اللغة والموقع الجغرافي والخلفية الثقافية وقيود الزمان والمكان. ولهذا نجد منشورات كثيرة مكتوبة بلغة بسيطة أَقرب للعامية ومليئة بالأَخطاء اللغوية والنحوية.

٣- تنزع بشدة إلى الثورة وتتعلق بالمطلق واللامحدود، وأحياناً الثورة على المجتمع. وهذه الثورية نفسها في مواقع التواصل الاجتماعي.

"وتُعدّ نظرية الحشد أحد الروافد التي تفسر أسباب ظهور الحركات الاحتجاجية والثورات الشعبية، فهي ترى أن مثل هذه الحركات تنشأ امتداداً لتجاهل المطالب الجماهيرية من الحكومات. وكذلك بسبب حالة الظلم والقهر والاستعباد التي يعيشها مجتمع ما في ظل نظام يتسم بالديكتاتورية" (زكي، ٢٠١٥، ص٢٢).

تسهم مواقع التواصل الاجتماعي في خلق حالة من الإجماع تجاه مشكلات بعينها، كانتشار الفقر وغياب العدالة والمساواة، أو استغلال أزمة معينة أو حادث طارئ، يكون بمثابة الشرارة الأولى لتفجير الغضب، وإدراك الفكر الجمعي لأهمية التغيير وضرورته. فعملية الحشد أو التعبئة تبدأ عن طريق مجموعة من الناشطين الحالمين بالتغيير، وسرعان ما يتعاطف معهم قطاعات من الرأي العام، وهو ما يطلق عليه "دائرة الضمير" ليتم تنسيق العمل بعد ذلك في مجموعات كبيرة من قيادة وتنظيم مسبق (زكي، ٢٠١٥، ص٢٢) "والثورات تمر باللحظة الثورية وما

تحمله من شعارات وطموحات وأحلام، وهي "لحظة رومانسية" لما فيها من تكافل وتكاتف تجمع الشعوب بهدف إنجاح ثورتهم، وهذه اللحظة "العابرة" تزول بمجرد اصطدامها بالواقع الذي يدخل فيه الفاعلون السياسيون والمصالح والترتيبات والإكراهات، ليخرج بذلك كل شخص من تلك اللحظة "الرومنسية" ليدخل إلى اللحظة "البراغماتية"، التي تتميز بسيطرة الطابع النفعي القائم على الحسابات السياسية والمصالح (الجويلي، ٢٠١٨). والشيء نفسه يحدث للرومانسي عندما يصطدم بواقع الحياة ومشاكلها.

٤- الحرية الفردية أمر مقدس لدى الرومانسية، لذلك نجد من الرومانسيين من هو شديد التدين مثل: "شاتوبريان" ونجد منهم شديد الإلحاد مثل "شيلي"، ولكن معظمهم يتعالى على الأديان والمعتقدات والشرائع التي يعدها قيوداً.

أَثبت الإعلام الجديد أنه مساحة حرة لأَي فرد من أَفراد المجتمع في نشر افكار التدين والدعوة، او افكار الالحاد، بدون رقابة مفروضة.

٥- الاهتمام بالطبيعة، والدعوة بالرجوع إليها حيث فيها الصفاء والفطرة السليمة، وإليها دعا "روسو".

"ويعتقد عالم التقنيات "كيفن كيلي" أن التكنولوجيا هي "قوة من الطبيعة"، تتطور من المبادىء والأسس نفسها مثل أي كائن حي. أو ربما تكون الطبيعة، مثل البشرية، هي نوع من أنواع التكنولوجيا الغامضة. في كلتا الحالتين، يجب التوقف عن رؤية التكنولوجيا والطبيعة باعتبارهما متقابلين في سجال دائم، وأن نبدأ بالتركيز على تقديم العون لهما لكي يتراقصا جنبا إلى جنب" (فلات، ٢٠١٥، BBC: أصدقاء أم أعداء: التكنولوجيا والطبيعة http://www.bbc.com/arabic/scienceandtech/2015/07/150722_vert_earth_can_nature_and_technology_be_friends).

لقد أثّرت التكنولوجيا بشكل إيجابي كبير على الطبيعة في العشر سنوات الأخيرة. وقد حدث ذلك عن طريق قدراتنا الناشئة لتحقيق رصد شبه متواصل لممتلكات طبيعية نفيسة، مثل المحميات، وحيوانات وحيد القرن. إننا نخلق روابط قوية للمعلومات. ولا تعني الطبيعة الاهتمام بجراء الحيوانات والشلالات فقط. فالتقنيات تساعد الناس في إدارة الجوانب القاسية والوحشية للطبيعة. وهو ما دعت اليه الرومانسية، والإعلام الجديد توحد ايضاً مع الطبيعة عن طريق الشاشة المستطيلة.

٦- فصل الأدب عن الأخلاق، فليس من الضروري أن يكون الأديب الفذ ذا خلق فذ، ولا أن يكون الأدب الرائع خاضعاً للقوانين الخلقية.

فرضت مواقع التواصل الاجتماعية، نوعاً من التعاملات، عن طريق "الوفرة" و"الكثافة" في النشر والمتابعة والأخبار والصور والتفاعلات، الأمر الذي جعل الكثيرين، يقلدون من دون قصد تلك التفاعلات، أبعدت الفرد عن أخلاقيات المجتمع. وتحولت حياتنا إلى صفحات تواصل اجتماعي ولكن ليس اجتماعياً، وإلى علاقات افتراضية يحكمها الواقع الإلكتروني وقوانينه بعيداً عن العلاقات الإنسانية الحقيقية. فالكل أصبح مفكراً سياسياً، وطبيباً.

٧- الإبداع والابتكار القائمان على إظهار أسرار الحياة من صميم عمل الأديب، وذلك خلافاً لما ذهب إليه "أرسطو" من أن عمل الأديب محاكاة الحياة وتصويرها.

لقد قادتنا الثورة الرقمية إلى زمن وصف بزمن التكشف، والذي اقترن بأهم ما يمتلكه الإنسان ألا وهي خصوصيته الشخصية، والتي أصبحت مستهدفة بشكل كبير من بعض مستخدمي وملاك تقنيات الاتصال الجديدة، سواء عن حسن ظن أو نقيضه. وبالرغم من ذلك شهدت منصات شبكات التواصل الاجتماعي إقبالاً متزايداً للمستخدمين، يتهافتون في نشر خصوصياتهم على حسابات وصفحات هذه المواقع، لكن لم يتوقف الأمر عند هذا الحد من الاستخدام بل تعداه من التعري إلى الانتهاك والتطفل، ووظفت لذلك أساليب ووسائل مختلفة، فأضحت مسألة الخصوصية الفردية مشكلة تؤرق مستخدمي هذه المواقع.

٨- الاهتمام بالمسرح لأنه هو الذي يطلق الخيالات المثيرة التي تؤدي إلى جيشان العاطفة وهيجانها.

"وبالفعل اصبح الواقع الجديد للفرد عن طريق الانترنيت يحمل مدلولين: حقيقي وافتراضي، ويعيش بين جغرافيتين: قريبة وبعيدة، وينتمي إلى وطنين: وطن محلي ووطن عالمي. لقد فرض علينا الفضاء السايبري أو الفضاء الرقمي نوعاً جديداً من المواطن، شكلاً ومضموناً، خلافاً لما نعرفه عن المواطن المنتمي إلى حدود ضيقة وثقافة محدودة. لقد انتقلت ممارسات الفرد وظواهره من الإطار الإنساني "المتقوقع" إلى الإطار الافتراضي المتوسع، ومن التمثل الطبيعي – الإنساني إلى التمثل الآلي والرقمي والرمزي" (منصوري، ٢٠١٤، ص١٦).

٩- الاهتمام بالآداب الشعبية والقومية، والاهتمام باللون المحلي الذي يطبع الأديب بطابعه، وخاصة في الأعمال القصصية والمسرحية.

إنّ بروز هذا الشكل الجديد في مقاربة الظواهر الاجتماعيّة، فنيّا وأدبيّا وإعلاميّا، القائم على سهولة في التعبير والتفكير، وحريّة فائقة في عرض القضايا المتصلة بالشأن العام والخاص، ومناقشتها، هوّ الذي اخترق دوّامة الصّمت، وكان بمثابة الموجة الحديثة للإنتاج الإعلامي والثقافي، والتفاعلات الاجتماعيّة التي ظلّت تنبع منها إشكاليات المجتمع واهتمامات الأفراد. وهو، من الناحية الفلسفيّة، تعبير عن وعي الذات، وإيمانها بالاختلاف والتواصل المتكافئ. إنّ أبرز ما يميّز موجة الإعلام البديل، تعبير بليغ عن نزعة رومانسيّة تجتاح المشهد الإعلامي العالمي، فاتحة بذلك مرحلة جديدة في الإعلام والتواصل. وإنّها لنزعة شبيهة بالتي عصفت بالأدب وسائر الفنون الأخرى في أوروبا نهاية القرن الثامن عشر.

فإذا نظرنا إلى العوامل المحيطة بظهور هذه النزعة في مجال الإعلام والاتصال، لوجدنا أنّها لا تختلف، من حيث الدلالة، عن التي أولدت الرّومانسيّة في ألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة وإيطاليا وإسبانيا، ظهرت الحركة الرومانسية في نهاية القرن الثامن عشر في الفن والأدب، عندما رفض الرومانسيون قيود التقليد الكلاسيكي، والنظم الجائرة في المدة ما بعد نابليون "الثورة الفرنسية"، فازدهر النظام الرومانسي للفرد، مع زيادة الوعي بحقوق الدول لحكم أنفسهم والفخر بثقافتهم. وجعلت منها مذهبا فنيّا وفكريّا يخترق مجالات الفنّ، والفلسفة، والسّياسة، والاجتماع، ويشملها بتشكيل يتضمّن الرّفض للأساليب الفكريّة والتعبيريّة السّائدة آنذاك. وإذا تمعّنا في خصائصها العامّة المكوّنة لذاتها، لألفينا أنّها من طبيعة مشتركة مع التي هيّ الأصل لذات المذهب الرّومانسي، وكأنّ بضرورة "رومنسنة" العالم التي دعا إليها نوفاليس (Novalis) أواخر القرن الثامن عشر، تعود لتتحقّق، مرّة أخرى.

اللغة ومجتمع المعرفة:

من الاشكالات التي تواجه الامم كافة، إنتاج المعرفة، وتتبارى الأُمم في ذلك، ومنها العرب، الذين ما زالوا في الدرجات الدنيا من إنتاج المعرفة... غير أن اللغة تشكل أسّسَ هذا الأنتاج ومعماره الفكري، ومهما قيل عن منافسة الصورة للغة، وبالرغم من أهمية الصورة، تظل اللغة هي المحرك الاساس نحو الانتاج المعرفي في الثورة المعلوماتية التي نشهد فصولها الآن.

"فقد راج القول بقيام ثقافة الصورة، وانقضاء زمن ثقافة الكلمة، أي القائمة على اللغة، وما يخشى منه هنا هو ان تحيل ثقافة الصورة هذه عقول البشر "الواحاً بيضاء" تصخب بفوضى الانطباعات...، ومن الضروري وجود ركيزة لغوية تنظم

هـذه الانطباعـات، فـي بنـى معرفيـة ذات مغـزى، متسـقة ومتراتبـة، لا تقـوم لعقـل الانسان قائمة من دونها" (علي، ٢٠٠٩، ص٧٨).

وقـد لا يكـون ميسـوراً، الحـديث عـن منافسـة الصـورة للغـة، اذ اننـا نشـهد تزايـد الفعـل الصـوري، فـي مجـالاتٍ عـدة. وهيـأت الدراسـات السـيميائية مجـالاً واسـعاً للافـادة مـن موحيـات الصـورة، وتأويلاتهـا، وتـدخلت عوامـل اخـرى لتقلـل مـن شـأن الصـورة، فـي اطار من الاعتماد على صور غير حقيقية، من الصعب كشف صدقها.

وهنـا يـرى بـاحثون أنـه لابـد أن تظـل اللغـة هـي المنتجـة للمعرفـة، بـالرغم مـن المراوحـة بـين اللغـة خطابـاً والصـورة بصـفتها خطابـاً ايضـاً. وإذا أغفلنـا هـذا الأَشـكال الكبيـر فـي ديناميـة الفكـر المعاصـر، وفـي تاريخـه، نقـول كمـا قـال احـد البـاحثين "سـتظل اللغـة فـي رأي الكثيـرين هـي افضـل المـداخل لسـبر أغـوار المـخ البشـري، ويشـهد تـاريخ المعرفـة أن كثيـراً مـن الصـروح الفلسـفية، اتخـذت مـن اللغـة منطلقـاً اساسـياً لهـا، مـن ارسـطو الـى فلاسـفة مـا بعـد الحداثـة، مـروراً بمثاليـة هيجـل التـي احتفـت أَيمـا احتفـاء بالشـعر، وعدميـة نيتشـه، التـي أَحالـت أَزمـة الفكـر الغربـي علـلاً لغويـة، والوصـفية المنطقيـة التـي سـعت الـى توحيـد سـائر العلـوم علـى اسـاس لغـوي، وهـل لنـا ان ننسـى هنـا مـا ذكرنـا بـه هيـدجر مـن ان اللغـة هـي عتبـة الوجـود، وان مـا يبقى هو ما يؤسسه الشعر" (علي، ٢٠٠٩، ص٧٨).

ومـن المقتـبس الطويـل السـابق، يمكـن الحـديث عـن أن الحركـات الفكريـة والأَدبيـة والإعلاميـة جميعهـا، كانـت تسـتعمل اللغـة إِطـاراً لتحركهـا ونفاذهـا فـي العقـل والوجـدان. ففـي الصـراع بـين الكلاسـيكية والرومانسـية، ظهـرت اللغـة فاصـلاً بـين عهـدين، وطريقـاً بـين طـريقين. الرومانسـيون قريبـون مـن لغـة الشـعب، ويطلـق علـيهم بالشـعبويين. فهـم أَرادوا قربـاً مـن عاطفـة النـاس، مثـل عقلهـم، واذ تحـرك اللغـة العقـل فهـي مـن بـابٍ أولـى تحرك العواطف.

فـي الثـورة الرومانتيكيـة الشـهيرة، لـم يكتـف الادبـاء بتلـوين لغـتهم بـالعواطف والأَخيلـة، بـل حتـى الفلاسـفة، فظهـر جـان جـاك روسـو وكأنـه أول فيلسـوف رومـانتيكي، واذ عُـرفَ عـن الفلسـفة انهـا عقليـة، وعقليـة فقـط، فقـد انحـازت الفلسـفة للاتجـاه الطـاغي، فـي الأَقـل فـي اتجـاه مـن اتجاهاتهـا. وكـان هـذا الانحيـاز مظهـره لغـوي، فمـن الصـرامة العقليـة الفلسـفية، الـى الجمـال الأُسـلوبي الـذي يبدعـه الخيـال اليقظ والمتمكن من لغته.

وإذ احتفـت ثـورة الرومـانتيكيين باسـتعمال اللغـة تحـدياً للكلاسـيكيين، فقـد احتفـت الثـورة التكنولوجيـة الرقميـة باللغـة أيضـاً. واذ نجـد بعـض المواقـع الالكترونيـة قـد

حافظت على معمار اللغة العربية وقواعدها واسلوبها فان الكثير من هذه المواقع قد غيرت تغييراً كبيراً اسس البناء اللغوي، وهو تغيير لا يشبه تغيير الرومانسيين بقدر ما يوحي بأن كل تغيير كبير لابد ان يبدأ من اللغة.

شكل يبين مراحل التطور اللغوي

في الشكل السابق، تصور افتراضي للغة، في مراحلها الثلاث المهمة... والكلاسيكية مثلنا لها بخطين متوازيين الاول يمثل اللغة والثاني الفكر: وهما ممتدان على مدى التاريخ، والخطوط الرابطة بين الخطين المتوازيين هو اللقاء الأَبدي بل والعضوي بين اللغة والفكر. أَما الرومانسية، فهي مثل الكلاسيكية، في تماثلها وتوازيها في الوقت نفسه، وهي تمثل العلاقة السابقة بين اللغة والفكر كما في الكلاسيكية. فاذا كانت الكلاسيكية ما زالت مستعملة في بعض اللغات، فان الرومانسية هي لغة التداول البسيط، وما تزال مستعملة على اوسع نطاق.

الفرق بين العربية والانكليزية مثلاً، ان الكلاسيكية هجرها الاستعمال في الشعوب الناطقة بها. فما عادت لغة شكسبير مفهومة، ولا لغة جون ميلتون صاحب ملحمة "الفردوس المفقود". اما العربية فما زالت الكلاسيكية مستعملة، في الاقل في المستويات الخاصة التراثية، والدينية. فهل وجود العربية الكلاسيكية يسهم في انتاج المعرفة ؟

إن الازدواج اللغوي بين الكلاسيكية ولغة الحديث اليومي "لغة الاستعمال" قد لا يسهم في ذلك الهدف.

اما الفئة "T" فهي مواقع التواصل الاجتماعي، وقد وضعنا لها خطاً مقطعاً، لا نعرف بعد، ما الذي سوف ينتجه هذا التداخل اللغوي. واذا كانت اللغات جميعاً تعاني من لغة مواقع التواصل الاجتماعي، فهل العربية هي اكثر تأثراً واكثر طواعيةً للتغيير والتبديل وربما الالغاء؟

وفي الشكل الآتي تقسيم للغة على اربعة اصناف انطلاقاً من مواقع التواصل الاجتماعي:

شكل يبين اصناف تقسيم اللغة في مواقع التواصل الاجتماعي

- **١- لغة دارجة**
- **٢- لغة رموز**
- **٣- لغة فصيحة**
- **٤- لغة صناعية**

في الشكل السابق تصور افتراضي للغة، بعد استعمالها في مواقع التواصل الاجتماعي، وقد لا يكون الامر محسوماً بحثياً، ولا سيما ما يتعلق بالنسب والتدرج، وقد تبين العينة او المنهج المسحي إذا ما استعمل دقة الشكل السابق من عدمه، ولكن يلاحظ ان الاختلاف كان جذرياً اذا ما قورن بالثورة الرومانتيكية على اللغة، وبالثورة المعاصرة ثورة الحاسوب والانترنيت.

نشير في هذا الاطار الى مدونة "بودورو" التونسية حسب بحث عبد الله الزين الحيدري (الحيدري، ٢٠١٣، ص٤٤)، هي مدونة تونسية تهتم بالشأن الإعلامي في تونس، وتعتني، كما هو منصوص في ميثاقها بنشر المقالات الرديئة للقراء بهدف انتخاب اسوئها آخر كل شهر، وواضح ان طابعها يرفع شعار فضح الانحرافات الإعلامية في البلاد التونسية. ويجري ذلك عن طريق مساحات الرأي والنقد المتجلية في سجلات لغوية، تراوح بين الفصحى والعامية، وهي سجلات لا تخلو من الالفاظ والعبارات الفرنسية والانكليزية احياناً" (الحيدري، ٢٠١٣، ص٤٠). وليس من شك في ان المنهج او الاتجاه الرومانسي قد ظهر جلياً في هذه المدونة، التي تؤكد حريتها الفردية التي بدت انها الوحيدة التي يمكن ان توجد اعمالاً إعلامية مثيرة، ويقبل عليها الكثيرون. وفي المدونات الأُخر ما يزيد على المدونة التونسية ويفيض، المهم أن عصر الرومانسية الإعلامية، باشكالها المعروفة والمتفق عليها قد دخلت الإعلام الافتراضي من اوسع ابوابه.

إعلام ما بعد الحداثة:

يعدّ الايطالي اميتاي اتزيوني Etzioni أول من اقترب من "ما بعد الحداثة" عام ١٩٦٨م، وهو الاقتراب الذي طوره المفكرون بعده، اذ رأى إن هذا المفهوم يشير الى مرحلة "تتسم بتحولات جذرية في تكنولوجيا الاتصال والمعرفة والطاقة عقب الحرب العالمية الثانية". وفي الحقبة التالية لبداية استخدام المفهوم، "انتقل من التعبير عن الأعمال الفنية والأدبية الى غزو الفضاء الثقافي والاجتماعي والسياسي، بل العلوم الاجتماعية ايضاً (اسماعيل، ٢٠٠٨، ص٥٥).

ونواجه هنا إحدى قضايا تاريخ الحداثة الانتقالية، باستبدال روسو قاعدة ديكارت المعروفة "أنا أفكر إذاً أنا موجود" ب "أنا اشعر إذا أنا موجود"، فكان تحولاً حاسماً من "إستراتيجية عقلانية إلى إستراتيجية جمالية". وكان اكتشاف الجمالية الجمالية: هي في الأساس علم الجميل، لكنها مأخوذة بمعنى محدد وهي: الذوقي، الذاتي، والخاص. وهي سمة مزاجية/ إيديولوجية للكثير من سياسات ما بعد الحداثة، حقلاً متميزاً في تنوع الأعمال الثقافية، واستند إنتاجها إلى شروط اجتماعية متنوعة، وإلى الاتصال المتنامي بين التجارة والثقافة (إسماعيل، ٢٠٠٨، ص٣٧).

وأطلقت الجمالية موجة "الذاتية الفردية أي "اعتقاد المرء إن حقيقة وجوده محصورة في فرديته، وأن كل ما عداه أجنبي عنه لا يعنيه، فيعمل هذا الوهم على تخريب وتمزيق الرابطة الجماعية التي تجعل الفرد يعي إن وجوده إنما يكمن في كونه عضوا في جماعة، ومن ثم فوهم الفردية يهدف إلى إلغاء الهوية الوطنية والقومية، وكل إطار جماعي آخر، ليبقى الإطار العالمي بل العولمي هو وحده الموجود" (الجابري، ٢٠٠٠، ص٣٠٢) . ويوفر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي فرص شعور المستخدمين بالوحدة والعزلة الاجتماعية. كون العلاقات التي تنشأ تكون افتراضية مهما كانت طريقة التواصل، سواءً كتابيّة أو صوتيّة أو صُوَريّة، وعندما يُدمن المُستخدم على هذه العلاقات فإنّه يُهمل حياته الاجتماعيّة الواقعية. وأياً تكن درجة صحة هذا، فان مما لاشك فيه هو: "أن الرومانسيين فتحوا الطريق لإسهامات جمالية في الحياة الثقافية (هارفي، ٢٠٠٥، ص٣٧-٣٨)، إلا أنها كانت تعبر مع ذلك عن فهم معين لتناقضات المجتمع. واتجاهها نحو التحرر من القواعد القائمة والتقاليد الموروثة وحب الطبيعة وتغليب المشاعر الذاتية والخيار على العقل والمنطق، فافترضت إن العاطفة هي جوهر إنسانيتنا، وكان إشباع النفس هو جوهر الفعل الأخلاقي لا النزعة العلمية (اسماعيل، ٢٠٠٨، ص٤٩).

لا يجرؤ أحدٌ على تعريف الرومانتيكية، وهو ما دفع احد دعاتها المشهورين الى القول: "إن من يريد تعريف الرومانتيكية يكون كمن فقد عقله، بسبب تشعبها في كل اتجاه، وطرحها افكاراً، يمكن ان تفسر، او ينظر اليها بأنها مثار رفض لا للقيم الكلاسيكية فقط، بل هي رفض للواقع الاجتماعي الذي اوجد الطبقات بين المجتمع، كما انها ترفض العقل الذي اوجد كل هذا التمايز. وإذ أخر الرومانتيكيون العقل، فانهم لم يشيطنوا الاستغناء عنه، حتى التخييل لا يكون الا في اطار عقلي، ولم يستغنِ الكلاسيكيون عن العاطفة بل ان بعض اعمالهم تفيض بها.

لكن ما واجهت به الرومانتيكية العقل، بدا وكأنها مناهضة للعقلانية، او انها تسير في اتجاهات فردية لا يضبطها سلطة ما. وحين وقفت ما بعد الحداثة موقفاً مناهضاً للعقلانية، بدا انها تعيد انتاج ما فاه به عصرٌ سابق، او كأن ما بعد الحداثة هو اجتزاء شذرات من عصور سابقة، ولا سيما من فلسفة نيتشة ومن عصر الرومانتيكية.

ومن اهم مواضعات ما بعد الحداثة في علاقتها بالرومانتيكية رفض العقلانية (The Rejection of Reason) اذ "ترى ما بعد الحداثة ان العقلانية والنزوع الى موضعة الحقيقة، جعلها موضوعية، هي مجرد اقنعة للقوى الاجتماعية، فالقبول الاجتماعي يتحقق من اخفاء الذات في جماعة اكبر، وفي سياق هذا الرفض للعقلانية، تحث حركة ما بعد الحداثة على اطلاق العنان للمشاعر الامنية والغرائز الطبيعية والتأسيس للذاتية وتطوير انفتاح ثوري على الوجود برفض تطبيق اي نظام على حياة الفرد" (نوري، ٢٠١٥، ص١٠٦).

ويعدّ مفهوم ما بعد الحداثة أيضا، "عنوانا أوليا لثقافة العولمة ممتلئة بالتناقض"، ووصفها محمود أمين العالم: "بالحقيبة التي تمتلئ بأكثر من دلالة واحدة مثل العلمانية والفردية والديمقراطية والجدلية والمادية والنسبية والتطور والتقدم إلى غير ذلك، فضلا عن انه يعبر عن مذاهب ونظريات فكرية مختلفة، إلى جانب المكتشفات والإبداعات المختلفة، والثورات السياسية والاجتماعية عامة" (العالم، ٢٠٠٥، ص١١٤).

"ويقوم فكر ما بعد الحداثة على الاختلاف والتباين لا الائتلاف والتطابق". ويقول عنها د.نبيل علي: "لقد حَسبت ما بعد الحداثة أنّها حرّرت الذّات الكلاسيكيّة، إذ إنّ الذّات ما بعد الحداثيّة "حرّة وسلطويّة، متعيّة وكابتة، تعدديّة وأحاديّة، وسبب ذلك لا يصعب تبيّنه فمنطق السوق هو منطق لذّة وتعدّد، ومنطق شبكة من الرّغبة لا مركز فيها. فالحديث عن الشواذّ جنسيّا مسموح به، وغير مسموح الحديث عن الهيمنة، والحديث عن الجنس مسموح به بل تسخّر سينما محدّدة لنشره. إذ إنّ ما بعد الحداثة ليست سوى تبريرٍ لمجتمع الاستهلاك ودعامة من دعائم العولمة للسيطرة على الفرد أينما كان لتحوّله إلى عبد يستهلك إنتاجيّاتها الماديّة والرمزيّة" (علي، ٢٠٠١، ص١٧١-١٧٣).

فتعترف الرومانسية بالمشاعر الإنسانية ومن هنا نلمس لمحات الحزن والألم والوحدة والحب التي تجلت في كتاباتهم، واللجوء إلى الطبيعة حيث تفيض مشاعرهم بالعواطف الذاتية، لأن عملية الإبداع قوامها الخيال والعاطفة (هلال، ١٩٧٣،

ص٣٧). إن من أهم ركائز الرومانسية هي "الذات" او تحقيق اعلى ما يمكن من صفات، تتعلق بالذات. حتى اصبح هذا ميدانها الاساس، ولعلّ ارتباطها بالشعر خاصة، جعل الذاتية تندفع الى اكتشاف نفسها. فأهم مبادئ الرومانتيكي، "أنا ذات". ان الشعر الرومانتيكي ظل اهم انتاج في اطار الانواع الادبية منذ القرن السابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر. غير ان عصر ما بعد الحداثة، نظر الى الذات، لا على أنها مشخصنة، محافظة على نفسها، تظهر تميزها في كل حين. بل نظر اليها على انها ذات متشظية الى ذوات اخرى. و "يتطلع تيار ما بعد الحداثة الى الخطابات المفتوحة، المرحة والطموحة، المؤسسة على تجارب شخصية، لتكوين خطاب مؤلف من شظايا او تكوين ايديولوجية التصدع التي تعمد الى فض ما هو كلي، وقد انعكس ذلك على رؤية الذات، فيراها مفكرو ما بعد الحداثة، مفككة متشظية تسائل نفسها باستمرار" (هلال، ١٩٧٣، ص١٠٥) ، واذ نشير الى علاقة ما بين الرومانسية وعصر ما بعد الحداثة، لا نُغفل الفارق الاساسي بين الاثنين، ولا سيما في النظر الى الذات وعلاقتها بالعاطفة اذ "يأخذ الحب عند الرومنطيقي طابع الذاتية، ويؤكد الهوة التي تفصل بين عالمي الخيال والواقع، اذ ينسلخ الحب عن الواقع، ويصبح وهماً يعذب صاحبه. ولعلّ سبب ذلك يعود الى قوة الخيال التي تسيطر على عاطفة الحب، ان الرومانتيكي لا يستطيع ان ينظر الى الحياة الا بعين خياله وأحلامه، لذلك تراه ينسج طيف محبوبته من احلامه وامانيه ومثله" (حمدان، ١٩٨١، ص٢٠).

وقد أشرنا الى تلك العلاقة، في اطار المؤثرات بين حقلين فكريين مختلفين، لان الفكر هو في جوهره تراكم معرفي بين سابق ولاحق، حتى إن بدا فكر ما بعد الحداثة خارج عن كل ذلك، وصيرورة مستقلة بذاتها. كما يبدو في قول احد الباحثين "لقد غزت بعد الحداثة عقول كثيرين في انحاء العالم، بعد الحداثة بلاغة جديدة، إن صح هذا التعبير، تتخذ من خصام الالفاظ والعبارات مبتدأ القول في علاقات اخرى اجتماعية وسياسية، وبعبارة اخرى ان انفصال الدال عن المدلول وما يسمى باسم حركة الدوال المستمرة ذو صدى هائل في التوجه الثقافي لما بعد الحداثة" (ناصيف، ٢٠٠٣، ص٣٢).

ان الذي يتجلى في الواقع الإعلامي والثقافي هو استجابة لشيء مختلف تماماً، فما بعد الحداثة لم تلتفت الى الفاصل الذي جرت عليه الدراسات التقليدية بين الذات والمجتمع، ولا سيما في علم الاجتماع التقليدي، فهي قد تخلت عن هذه الثنائية، وثنائيات كثيرة، كان يقوم عليها فكر سابق امتد الى قرون طويلة، حتى

البراغماتية تغيرت ببراغماتية جديدة. يشتغل في اطارها الإعلام التفاعلي في مواقع التواصل الاجتماعي، في اطار الممارسة الواعية او غير الواعية "تسطح السوسيولوجيا البراغماتية الى تغييرات في زوايا النظر تميزاً عن السوسيولوجيا الكلاسيكية"، فهي تعمل على نقل التعارض التقليدي بين الفردي والجماعي، وهي تندرج في مجال السوسيولوجيات الجديدة التي تحاول الافلات من التعارض الطقوسي بين الجماعي والفردي" (ناشئ، ٢٠١٣، ص٩). ولعل هذا يحصل في اكثر من صعيد، فاذا كانت كتابة الشعر، هي كتابة شخصية "فردانية"، وكما هو معروف، الشعر هو ارتباط بين الشاعر وقصيدته، صحيح ان للمتلقي دوراً في بناء هذه القصيدة، لكنها في الاخير تبقى بوحاً ذاتياً، لقد تغير هذا في القصيدة الرقمية، او ما تسمى بالقصيدة التفاعلية، فكلمة "تفاعل" تعني ان الآخرين يشاركون في انتاجها. فقد يكتبها شاعر من العراق، ويضيف اليها شعراء آخرون من مصر او السودان، فهي قصيدة تمحي فيها المساحة بين الذاتي والجماعي، هي ذاتية لانها تعبير عن ذوات الشعراء، وهي ايضاً جماعية، لانها، تكتب من اكثر من كاتب ... وعلى هذا النحو فقد اصبحت الوسيلة هي النص.

واذا نظرنا الى انتاج الإعلامي، في البعد الذاتي، والجماعي، وفي اطار ما بعد الحداثة، فأننا لا نعدم وجود رؤية اظهرتها مواقع التواصل، فردية كانت ام جماعية، ولعلنا نقول اذا ما اردنا ان نوجد للنصوص المعاصرة عبر الانترنت آباء... والنص لا أب له كما يقول جاك دريدا. ومع ذلك لو اوجدنا اباً مفترضاً لكل ما يكتب في المواقع لقلنا إنه النزعة الثورية، ولكن بلا ثورات واسلحة وقتال... والاب الروحي لكل الثورات المعاصرة، هو الاتجاه الرومانطيقي، الذي بقي حياً في الفكر والسياسة والادب الى هذا اليوم. ان الاتجاه الوحيد الذي ظل صامداً حتى في ذروة صعود الواقعية والواقعية الاشتراكية. بل وحتى في اطار البنيوية التي قيدت النص في ابعاده الداخلية.)

ولهذا يمكن تصور بقايا الرومانتيكية فيما وجد من ادبٍ تفاعلي وثقافة تفاعلية، واذ طغت الوسيلة، فان كل كتابة شعرية او قصصية او سياسية اصبحت ذات إعلامي، وكأن الإعلام يسوق الاختصاصات والمدونات التي عرفت على مستوى التاريخ، تحت مظلته... فالمقال السياسي في مواقع التواصل الاجتماعي "إعلام" والقصيدة التفاعلية الرقمية "إعلام"، والتخاصم الاجتماعي عبر مواقع التواصل الاجتماعي "إعلام". نحن ندخل من غير قصد في عصرٍ مضبب غير

مفهوم، اسمه عصر الإعلام. تتحكم فيه الوسيلة وتطورها ويمكن تقريب ما قلناه سابقاً في الشكل الآتي:

الإعلام الجديد "مواقع التواصل الاجتماعي"

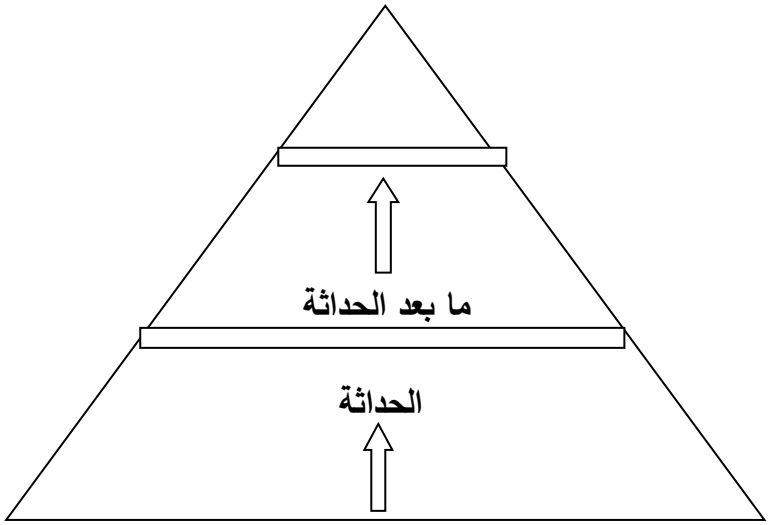

في الشكل تظهر الرومانسية في اسفل المثلث وهي قاعدة التغيير، وهي مع بعض المواضعات يمكن ان تشكل عصر الحداثة. هي والمناهج الواقعية، والمناهج النصية... وهي اول ثورة فكرية، غيرّت كثيراً من مفاهيم العصر الراهن. وهي وان بدت ذات تقاطع كبير مع عصر ما بعد الحداثة، غير ان العلاقة ما تزل قائمة بين الاثنين. انطلاقاً من ان الفكر تراكم معرفي، حتى وان كان في ما تمثله ما بعد الحداثة من تقاطع مع كل ما سبقها. ولا سيما في اللغة والحرية المطلقة ورفض الميتافيزيقيا، وقد يبدو أن الإعلام الجديد، قريب من هذا النزوع في الفكر والسلوك. لكن كثيراً من الإعلام الالكتروني لا علاقة له بما بعد الحداثة.

وقد يبدو هذا معقولاً، يقلل من الاطلاق الذي طرحه الشكل السابق. غير ان ما يجب وضعه في الاهتمام والعناية، ان التحول في مواقع التواصل الاجتماعي نحو إعلام بديل، فيه صفات ما بعد الحداثة، وهو اهم ما يلاحظ الآن... اي ان المستقبل يجري ربما بسرعة نحو هذا الاتجاه، وان تطور الوسيلة، سيفرض تحكماً اقل بها. ومن ثم تفرض وجودها القوي والمؤثر في كل اتجاه. ولا سيما في الشعوب التي لا تملك حظاً من مجتمع المعلومات ومن التقنية الرقمية، وما زالت لغاتها تقصر في الاندماج اللغوي العالمي بوساطة الحاسوب.

مدونة M80[1] نموذج للنزعة الرومانسية في الإعلام التفاعلي

تخفي هذه المدونة اسم صاحبها بالرمز M80 وهو كما يبدو رسام كاريكاتير، اطلق رسوماته المتمثلة بـ "كاريكاتير الجنة" المدونة مثال للتوجه الرومانسي الذي يدور عليه بحثنا هذا، وقد ظهر هذا الرسم في مدونته، وهو الرسم الذي اعاد نشره الكاتب والصحفي الأردني ناهض حتر وادى الى اغتياله في وضح النهار. وقد اختلف المجتمع العربي بين مؤيد ومعارض لقتله، ولا سيما أن أراء حتر السياسية مثيرة للجدل بشكل عام بسبب تأييده للنظام السوري وانتقاده اللاذع والقاسي لبعض اللاجئين في الأردن. ويعرف المتابعون للحادثة أن السبب وراء قتله بثلاث رصاصات قاضية أمام المحكمة بعمان هو كاريكاتير اتهم بإلاساءة للدين الإسلامي. وقد ظن الكثيرون أنه هو صاحب الرسم، لكن حتر لم يرسم الكاريكاتير، بل اكتفى بإعادة نشره على صفحته في الفيسبوك، فثارت ثائرة المتدينين في الأردن، واتهم بازدراء الأديان (موسى، ٢٠١٦، صاحب كاريكاتير الجنة الذي أودى بحياة حتر. (سالم الريس، المحاور) https://raseef22.com/life/2016/09/28/%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B8%B3%AD%D8%A8)

في القرن الماضي تنبأ الفيلسوف الفرنسي أندريه مالرو بانه "سيكون القرن الحادي والعشرون قرن الأديان أو لن يكون!" ويبدو أن نبوءته تتحقق.

يبدو الدين حاضراً وبقوة في كل الأحداث والقضايا الكبرى في عالم اليوم، وكان على العالم أن يتجه مرة أخرى للبحث والتنقيب في مسارات الصعود الجديد للظاهرة الدينية بعد أن أفلت مقولة المدينة العلمانية التي ظلت زمنا تحكم مسار دراسات الاجتماع الديني (مايير، ٢٠٠٩، مسار حركة الأديان في العالم، تأثيرات الإنترنت على الدين والحركات الدينية الجديدة http://tammam.org/%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%A1%D8%A7%D8%AA/363--q-q.html)

والسؤال هنا هل يستقل الإسلام بمسار مختلف عن غيره من الأديان ؟ وماذا فعل الانترنيت في الدين الاسلامي ؟

في هذه المدونة نلحظ من الملامح الرومانسية، ما يأتي:

---

[1] التسمية تدل على مجموعة من النجوم تجمعات مفتوحة ومغلقة.

١- اثبات الذات حتى وان كانت برمز مستعار، وقد يحمل الرمز بعض ملامح الاسم مثل موسى، كما يذهب الى ذلك بعض القارئين للمدونة.

٢- الثورة على المفاهيم السائدة، ونفي الميثافيزيقيا وهو ما عليه الرومانتيكية وما بعد الحداثة.

٣- تأثيث مكان الصورة بالخيمة والاشجار، وبعض الموحيات الطبيعية... والخيمة مكان الانعزال في الصحراء، مع ما يمكن ان توحي به من عودٍ الى الطبيعة كما هو معروف عند الرومانتيكيين.

٤- اللغة المختارة من اللهجات الدارجة.

هذه الرومانسية ليست متطابقة مع رومانسية القرن الثامن عشر والتاسع عشر التي كانت "هروباً من الحاضر عبر الحلم والخيال، رومانسية القرن الواحد والعشرين، بدت او هي هكذا منغمسة بقوة في الحاضر، بالرغم من مظاهر التبرم، ومحاولة الافلات من الواقع المزيف الذي تصنعه مؤسسات الاتصال الجماهيري، وكان يمكن بتوفر الانظمة الافتراضية المتطورة التي دفعت بتجسيد خيال الانسان الى اقصى حدوده، ان تكون اكثر ايغالاً في الحلم والخيال من سابقتها. فالتقنية الجديدة لم تدفع بالنزعة الرومانسية، التي حطت بثقلها في الإعلام الجديد، الى التخلص من الواقع، وهي القادرة على ذلك بترسانتها الرقمية التي تداخلت فيها الابعاد الزمنية، حيث دمج الحاضر بالمستقبل، والماضي بالحاضر، انما ساعدت في تفكيك عناصر الواقع ومنحت امكانية ترتيبها وبنائها من جديد" (الحيدري، ٢٠١٣، ص٢٥).

وقد اقتبسنا هذا المقطع الطويل من عبد الله الزين الحيدري لنعادل به ما ذكرناه، اذ اشرنا الى علاقة الرومانسية الجديدة بما بعد الحداثة.

٢. وتظهر كلمة "الرومانسية" في الثقافة العربية الراهنة وفي الخطاب اليومي في صورتين متناقضتين. فالثقافة النقدية خاصة تستخدمها للدلالة على العجز، وعدم القدرة على التجدد والمراوحة في المكان، وضيق الأفق، لكن الخطاب اليومي يميل الى مديح الرومانسي، والرومانسية مانحا اياهما صفات الرقة، والحب والايثار والغيرية، والتسامح .. الخ، بل ان بعض مبالغات الخطاب اليومي يرى في الرومانسي الشخص الطاهر المنزه عن الرذائل "ولا سيما في الحب" بما يشبه العذري مثلا. أما التعليل لظهور الرومانتيكية في الثقافة العربية، فقيل أنها كانت تعبيراً عن نزعة ليبرالية لدى مثقفي البرجوازية، وهي تختلف بذلك عن رومانتيكية الغرب التي مثلت

الثورة على المجتمع الصناعي، وأكدت النزوع الفردي، فالحلم بالتغيير ولد أيديولوجيات رومانتيكية منها الرومانتيكية البروليتارية الطبقية (.(n.d.). Retrieved from http://dorarr.ws/forum/showthread.php?t=20600

والكثيرٌ من الناس يخدعهم الاسم، فحينما يقال إنّ فلانا ينتمي إلى المدرسة الرومانسية أو تأثر بالاتجاه الرومانسي، يظنّه بعض المعنيين كاتبا متخصصا في قصص الحب والغراميات. والعكس صحيح أنّ أتباع المدرسة الرومانسية هم ثُوَّار الأدب تحرّكهم الفردية، والذاتية، والخيال، والوجدان. الرومانسيون نادرا ما يعبأون بالشكل التقليدي، بل يميلون الى التجريب والخروج عن القاعدة، فهذا جزء من تكوينهم الثوري. وعلى صراع دائم مع المجتمع، ببساطة لأن المجتمع يسعى لتقويض أهم ما يميزهم: الذاتية.

ويعتبر العالم الرقمي في الواقع مصدراً للممارسات الاجتماعية الجديدة التي تشكك في شرعية بعض المعايير الثقافية، ويعيد بشكل ثوري بناء شخصيتنا بفضل الأشكال الجديدة للحضور والمشاهدة، ويفرض تحولا جذرياً لعلاقتنا بالمجال والزمن. واللائحة طويلة بخصوص مؤثراته في بيئتنا العقلية وتصرفاتنا الاجتماعية، ويمس كل الجوانب في المجتمع.

استنتاجات الدراسة

أن ملامح النزعة الرومانسية وُجدت في الإعلام الجديد. على وفق رؤية تقول: "إنَّ المناهج تجدد نفسها، وان الافكار يمكن ان تعود، لكن العود الرومانسي اليوم، له اكثر من دلالة ومن معنى، وان تقصيه في البحث الإعلامي، يمكن ان يكون سبباً في تجديد معارفنا ونقدها. فتنزع الذات دائما الى الحضور بنسبة معينة في اي ظاهرة جديدة، لكن في ظاهرة الإعلام التفاعلي سجلت ذروة حضورها.

المصادر

١- اسماعيل، د. محمد حسام الدين (٢٠٠٨). الصورة والجسد. دراسات نقدية في الاعلام. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٢- الجابري ، د. محمد حسام الدين ، وآخرون (٢٠٠٠). العرب والعولمة. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، الطبعة الرابعة، مركز دراسات الوحدة العربية.
٣- حمدان، أمية (١٩٨١). الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني. بغداد: دار الرشيد للنشر.
٤- الحيدري ، د. عبد الله الزين (٢٠١٣). عصر الرومانسية الاعلامية. مجلة المستقبل العربي (٤١٠).
٥- رحومة، علي محمد (٢٠٠٥). الانترنت والمنظومة التكنو - اجتماعية . بحث تحليلي في الالية التقنية للانترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية.
٦- زكي ، خالد (٢٠١٥). الصحافة والتمهيد للثورات. القاهرة: دار العربي.
٧- سناجلة، محمد (بلا تاريخ). شات. رواية رقمية.

٨- العالم ، محمود أمين (٢٠٠٥). حقيبة مابعد الحداثة، ممتلئة ايضا. ثقافة المقاومة في ظل العولمة. (فريدة النقاش، و اخرون، المحررون) عمان، جامعة فيلاديفيا: دار مجدلاوي.
٩- علي، د. نبيل (٢٠٠١). الثقافة العربية وعصر المعلومات - رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. الكويت: عالم المعرفة.
١٠- علي، د. نبيل (٢٠٠٩). العقل العربي ومجتمع المعرفة. عالم المعرفة.
١١- فولر، روجي (١٩٩٧). وسائل الاعلام وإعادة انتاج السلطة. (محمد خطابي، المترجمون) مجلة علامات(٢٤).
١٢- محمد غنيمي هلال. (١٩٧٣). الرومانتيكية ، بيروت: دار العودة.
١٣- منصوري، نديم (٢٠١٤). سوسيولوجيا الانترنت. منتدى المعارف. بيروت.
١٤- ناشي، محمد (٢٠١٣). مدخل الى الوسيولوجيا البراجماتية. (د. ميلودي طواهري، المترجمون) ابن النديم للنشر والتوزيع.
١٥- ناصيف، د. مصطفى (٢٠٠٣). بعد الحداثة صوت وصدى. جدة: السعودية.
١٦- نوري، أسمى (٢٠١٥). القيم السائدة في الدراما التركية والمصرية. عمان: دار غيداء.
١٧- هارفي، ديفيد (٢٠٠٥ م). مابعد الحداثة. (د. محمد شيا، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
١٨- هلال، محمد غنيمي (١٩٧٣). الرومانتيكية. بيروت: دار العودة.

المواقع الالكترونية:

١- الاكاديمي "جان فرانسوا ماييز". (ديسمبر، ٢٠٠٩). مسار حركة الأديان في العالم، تأثيرات الإنترنت على الدين والحركات الدينية الجديدة . تم الاسترداد من لقاءات: http://tammam.org/%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%A1%D8%A7%D8%AA/363--q-q.html
٢- محمد الجويلي. (١٥ كانون الثاني، ٢٠١٨). لحظة رومانسية أنجحت الثورة التونسية. مجلة ميم الالكترونية. تم الاسترداد من https://meemmagazine.net
٣- محمد بن سالم بن سليمان الفيفي. (٢٣ شباط، ٢٠١٣). اطلالة على الرومانسية. تم الاسترداد من http://www.faifaonline.net/faifa/articles-action-show-id-2359.htm
٤- موسى. (٢٨ ايلول، ٢٠١٦). رصيف - ٢٢. صاحب كاريكاتير الجنة الذي أودى بحياة حتر. (سالم الريس، المحاور) تم الاسترداد من https://raseef22.com/life/2016/09/28/%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B8%B3%AD%D8%A8
٥- مولي فلات. (٢٣ تموز، ٢٠١٥ م). الطبيعة والتكنلوجيا: أصدقاء أم أعداء؟ تم الاسترداد من BBC:http://www.bbc.com/arabic/scienceandtech/2015/07/150722_vert_earth_can_nature_and_technology_be_friends
٦- (n.d.). Retrieved from http://dorarr.ws/forum/showthread.php?t=20600

Research sources:

1- Ismail, Dr. Mohamed Hossam Aldin (2008). Image and body. Critical studies in the media. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
2- Al-Jabri, Dr. Mohamed Hossam El-Din, et al. (2000). Arabs and Globalization. Research and discussions of the intellectual seminar organized by the Center for Arab Unity Studies. Beirut, Fourth Edition, Center for Arab Unity Studies.
3- Hamdan, Omia (1981). The symbolism and aromatic in Lebanese poetry. Baghdad: Dar Al-Rasheed for publication
4- Al-Haidari, Dr. Abdullah Al-Zain (2013). The era of media romance. Journal of the Future Arab (410).
5- Rehooma, Ali Mohammed (2005). The Internet and the socio-economic system. Analytical research in the technical mechanism of the Internet and the modeling of its social system.
6- Zaki, Khaled (2015). Press and prepare for revolutions. Alqahra: Dar Al Arabi.
7- Snajla, Mohammed (no history). chat. A digital novel.

8- The World, Mahmoud Amin (2005). The postmodern bag, too full. Culture of resistance in the shadow of globalization. (Farida Al-Nakash, et al., Eds.) Amman, University of Philadelphia: Dar Majdalawi.
9- Ali, Dr. Nabil (2001). Arab Culture and the Information Age - A Vision for the Future of Arab Cultural Discourse. Kuwait: The World of Knowledge.
10- Ali, Dr. Nabil (2009). Arab mind and knowledge society. knowledge world.
11- Fuller, Roger (1997). Media and power reproduction. (Mohammad Khatabi, Translators) Magazine Marks (24).
12- Mohamed Ghonaimi Helal. (1973). Romantique, Beirut: Dar Al-Awda.
13- Mansouri, Nadim (2014). Internet Sociology. Forum knowledge. Beirut.
14- Nashi, Muhammad (2013). Introduction to Pragmatic Physiology. (Dr. Melody Touahri, Translators) Ibn Al-Nadim for publication and distribution.
15- Nassif, d. Mustafa (2003). Postmodern voice and echo. Jeddah, Saudi Arabia.
16- Nuri, Supreme (2015). Values prevailing in Turkish and Egyptian drama. Amman: Dar Ghaida.
17- Harvey, David (2005). Postmodernism. (Dr. Mohamed Shea, Translators) Beirut: Arab Organization for Translation.
18- Hilal, Mohamed Ghneimi (1973). Romanticism. Beirut: Dar Al-Awda

Websites:

1- The academic "Jean-Francois Mayer". (December, 2009). The path of religions in the world, the effects of the Internet on religion and new religious movements. Retrieved from Interviews.
http://tammam.org/%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%A1%D8%A7%D8%AA/363--q-q.html
2- Mohammed Al-Juwaili. (January 15, 2018). A romantic moment that has revived the Tunisian revolution. Electronic Magazine. Refunded from: https://meemmagazine.net
3- Mohammed bin Salim bin Suleiman Al-Fayfi. (February 23, 2013). Look at romance. Refunded from:
http://www.faifaonline.net/faifa/articles-action-show-id-2359.htm
4- Moses. (September 28, 2016). Quay - 22. Caricature of Paradise that killed Hatter. (Salim Al-Rayes, axes) was recovered from:
https://raseef22.com/life/2016/09/28/%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B8%B3%AD%D8%A8
5- Molly Flat. (July 23, 2015). Nature and technology: friends or enemies? Refunded from:
BBC:http://www.bbc.com/arabic/scienceandtech/2015/07/150722_vert_earth_can_nature_and_technology_be_friends
6- (n.d.). Retrieved from http://dorarr.ws/forum/showthread.php?t=20600

Romanticism in Virtual World

Prof. Dr. Mohamed Redha Mubarak

mrmubarak@hotmail.com

Dr. Bushra Jameel Al-rawi

drbushrajameel@vomc.uobaghdad.edu.iq

University of Baghdad / College of Information

Abstract:

When Romanticism had passed since its appearance at the end of the eighteenth century, it seemed that this important intellectual and philosophical development had been absent but not really lost. Romanticism remained in the poems of poets, philosophers and writers even after they had escaped cultural life in general. If it is difficult to itemize all the principles of romance, the apparent is the assertion of individualism and the love of autism with nature and its potential with its mysteries as well as the glorification of emotion, compared to the mental orientation of the writers in the seventeenth century in their classical approach. The language is the most important to what the Romans have proven in their poetry and their artistic works, from Wordsworth to the great romantic philosophers, in addition to the philosophy of Jean-Jacques Rousseau, the philosophy of romance, a paradox that illustrates the dimensions of this great phenomenon in international thought. With the advent of new media, and the accelerating development of its technologies, romance is returning again, but with different visions imposed by the generation and its logic. If romance is the philosophy of personality and self-love, social media sites have touched this and come close to it. Actually, if the romantic writers sanctify nature with its trees, mountains and plains, they stand in front of small screens where nature does not appear and it is silent with no trees and sounds, and harmony. However, the features of romanticism were found in new media and according to a vision that says: "The curriculum renews itself, and the ideas can come back, but the romanticism today has more than meaning and reference, and its investigation in media research can be a reason to renew our knowledge and criticism

Keywords: romance, virtual world, self.